التعريب والترجمة

لا اصعب من تقييد الانسان بأقوال غيره وافعاله خصوصاً اذا كانت تخالف ما تلقنه والفه . وهذا مما يصح اطلاقه في الترجمة والنقل كما يصح في غيره . ولذلك جاء في المثل الطلياني « المترجم خائن » لانه لا يخلو في الجملة من الحياد عن الاصل وترك معان ربما كانت المقصودة بالذات من كاتبها الاول . ولقد انقسمت طرق التراجمة في الاسلام الى قسمين فارتأى فريق ان التعريب وهو نقل المعاني المرادة بقالب عربي بحسب ما يقضي به ذوق الكاتب ويساعد عليه اللسان ولهجته خيرٌ من الترجمة اى النقل بالحرف والتزام ما قاله الكاتب الاصلي ولولم ينطبق كل الانطباق مع ذوق اللغة المنقول اليها . والطريقة الاولى الطف واعذب والثانية اصدق وامتن .

فالاولى طريقة يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما والطريقة الثانية في التعريب طريقة حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما واقل ما في الاولى من الجهد ان بعض الالفاظ ليس لها ما يرادفها في لغة ثانية واقل ما في الثانية من الراحة انها لا تقيد الكاتب بالالفاظ . قال الصفدي وهذا الطريق اي الثاني احمد ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحق الى تهذيب الا في العلوم الرياضية لانه لم يكن قيماً بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والالهي فان الذي عربه منها لم يحتج الى اصلاح .

ولقد رأيت معربات كثيرة ومترجمات نقل بعضها قديما عن السريانية والرومية والفارسية والهندية والنبطية واللاتينية وحديثاً عن الانكليزية والافرنسية والالمانية والتركية والروسية فاستنتجت منها ان بني لغتنا يستفيدون من التعريب بالمعنى والتحصيل اكثر من النقل بالحرف . وانتفع الناس بما لخصه الحكيم ابن رشد

من كتب فلاسفة اليونان اكثر من انتفاعهم من الاصل وقد اعتمد الافرنج نقله ولم يحاولوا تطبيق ما لخصه على الاصل حتى بعد ان ظفروا بالكتب المنقول عنها بحسب ما انتهى اليه علمنا . ولا يعفى معاني هذين الطريقتين في النقل من ان يكون ضليعاً من العلم الذي يكتب فيه آخذاً بقياد اللغة المنقول عنها واليها .

وكلما تباينت آداب امة عن اخرى وانفسح ما بينهما مجال الاختلاف في العادات والاجتماع صعب نقل شيء من لغة الى لغة ثانية . والفرق بين لغة شرقية ولغة غربية اكثر من الفرق بين لغتين شرقيتين او لغتين غربيتين لما في تحاكك المتجاورين من المجانسة في الافكار والمناحي . وعندي انه لا غنية للناقل من لغة او رؤية عن التلخيص مهما حاول ان يطبق مفاصل اللغة الغربية على لغته فان الغربية اصطلاحات قلما توافق ذوق لغتنا ولهم معان لا يفهمها الا من عرف اولئك الاقوام وتاريخهم ومجتمعهم . وهذا غير ميسور لكل الناس .

وبعد فقد ضعف القائمون بامر الكتابة والتعريب ودامت الامة العربية زهاء خمسة قرون وقد انقطعت منها الترجمة والنقل بانقطاع العلوم وضعف اهل العربية وارتقت اللغات الاخرى ونمت الفاظها العلمية ومعانيها المدنية حتى ادت الحال بالكاتب العربي اليوم اذا اراد وصف منضدة عمله وردهة مجلسه وما يقع نظره عليه كل حين من انواع الآنية والماعون وكليات الامور وجزئياتها ان لا يجد في حافظته من الالفاظ ما يسد هذه الثلمة اللهم الا كليات الفاظ لا تتعدى الاغراض اليومية الشائعة من المؤاكلة والمعاشرة حتى بين ابعد الناس عن مذاهب الحضارة وماذلك لقصر اللغة عن بلوغ هذه الغاية ففيها لو تصفحنا ما انتهى الينا من كتب القوم مادة تكفينا ولو بعض الكفاية دون ان نلجأ في التعريب الى اللفظ العامي او المبتذل او الاعجمي اما الالفاظ العلمية فالاحرى بنا ان نحييها او ننقلها على اصلها

اذا لم تخالف الاوضاع العربية او نجد لها ما ينطبق عليها من اللغة ولو ببعض تكلف كما فعل المترجمون في القديم

فسر ابن جلجل الاندلسي اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس العين زربي وكان ترجم ببغداد في ايام جعفر المتوكل ترجمه اصطفن بن بسيل من اليوناني الى العربي وتصفح ذلك حنين بن اسحق فصحح الترجمة واجازها فما علم اصطفن من تلك الاسماء اليونانية في وقته له اسماً في اللسان العربي فسره بالعربية وما لم يعلم له اسماً تركه على اسمه اليوناني «اتكالاً منه على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي اذ التسمية لا تكون بالتواطيء من اهل كل بلد على اعيان الادوية بما رأوا ان يسموا ذلك اما باشتقاق واما بغير ذلك من تواطئهم على التسمية» وبقي الكتاب على الترجمة البغدادية بالاندلس الى ايام الناصر عبدالرحمن بن محمد فكاتبه ارمانيوس ملك القسطنطينية وهاداه بهدايا «منها كتاب ديسقوريدس مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب وكان الكتاب مكتوباً بالاغريقي الذي هو اليوناني وبعث معه كتاب هروسيس (؟ هيرودتس) صاحب القصص وهو تاريخ للروم عجيب فيه اخبار الدهور وقصص الملوك الاول وفوائد عظيمة» .

ثم بعث ملك الروم براهب اسمه نقولا فوصل الى قرطبة سنة ٣٤٠ وكان بها جماعة من الاطباء يبحثون عن تصحيح اسماء عقاقير الكتاب وتعيين اشخاصه «فانشأوا يبحثون عنها بحيث زال الشك فيها عن القلوب واوجب المعرفة بها بالوقوف على اشخاصها وتصحيح النطق باسمائها بلا تصحيف الا القليل منها الذي لا بال به ولا خطر له وذلك يكون في مثل عشرة ادوية»

هكذا عربوا الالفاظ الطبية بالاندلس وهكذا كان تعريب غيرها من

المصطلحات اليونانية وغيرها في بغداد وهكذا يجري علماء الانكليز في ضم ما يحدث من الالفاظ العلمية الى لغتهم كلما ست الحاجة الى ذلك ووكل الفرنسيس وضع الكلمات اللازمة الى مجمعهم العلمي . ولو ان نفراً من اهل الاختصاص في اللغة العربية عنوا كل على حدته بايجاد بعض الفاظ لتناولتها اقلام الكتاب ولسرت على الالسن وانتشرت في الكتب والاوراق وبقي منها الانسب بطبيعة الزمن وينسى ما لا غناء فيه . فقد وضع بعض ارباب الجرائد والمجلات الفاظا لبعض المستحدثات العصرية فكادت تكون كالالفاظ المألوفة لنا ولو وفقنا الى تكثير سوادها اذاً لسهلت الترجمة والتعريب على من تمحضوا لهما ووقفوا نفوسهم على اغناء لغتنا بكنوز عظيمة مباحة لمن يحسن تناولها وفيها قوام جامعتنا وكفاءة نهضتنا

صفحة تاريخية في سورية

انقضى من الخليقة الى الطوفان ٢٢٤٣ سنة حسب الترجمة السبعينية و١٦٥٦ سنة حسب النسخة العبرانية . واقدم مؤرخ يلم بتاريخ الجنس البشري في هذه المدة الطويلة هو موسى الكليم . ولم يذكر موسى مكانة البشر من الحضارة والعمران في تلك الحقبة التي كانت بين الخليقة والطوفان . فقد دون موسى الخمسة الفصول الاولى من سفر التكوين ـ احد اسفاره الخمسة ـ وهي لا تبحث الا عن الخليقة وعن آدم وحواء وعن قابين وهابيل وعن الآباء العشرة وعن كثرة شرور الانسان التي ادت الى الطوفان

ولد الانسان الاول ـ آدم ـ في ما بين النهرين او في ارمينية على ما يرجح علماء هذا العصر وعاش ٩٣٠ سنة . وولد شيث لمئة ١٣٠ لآدم حسب النسخة العبرانية وعاش ٩١٢ . وولد انوش سنة ٢٣٥ وعاش ٩٠٥ . وولد قينان سنة ٣٢٥